

دراسة تحليلية لخطب البابا أريان الثاني في مجمع كليرمون

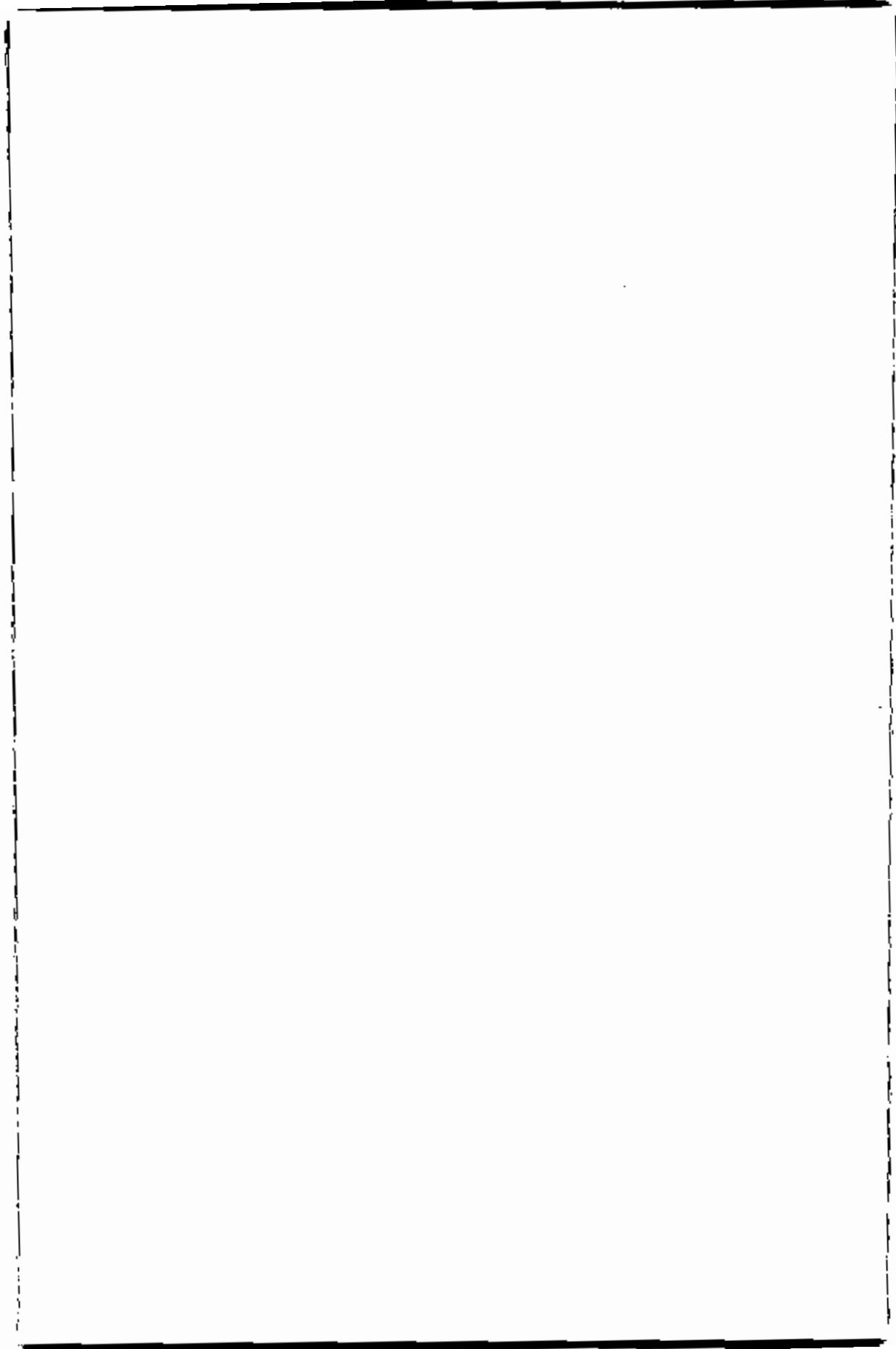
(١٨ - ٢٧ نوفمبر ١٠٩٥ م)

دكتور

حسن عبد الوهاب حسين

أستاذ مساعد تاريخ العصور الوسطى

كلية الآداب - جامعة الإسكندرية



منذ بدايات القرن الماضي احتلت كتابات دانا مورفو Dana C. Muro أهمية خاصة فيما يتعلق بدراسة مصادر الحروب الصليبية. حيث قدم للباحثين دراسات هامة عن خطابات الصليبيين من مصادرها الأصلية، بالإضافة إلى مقاله الهام عن خطبة البابا أريان في كليرمون ١٠٩٥. «The Speech of Pope Urban II at Clermont, 1095»

ومنذ نشر مقالته في عام ١٩٠٦م، نتابعت دراسات المؤرخين الحديثين عن البابا أريان ومجمع كليرمون. ومن أبرزها مقالات ألفونس بيكير Alfons Becker وكودري Cowdrey وروبرت سومرفيل Robert Somerville ورودولف هيسناند Rodulf Hiestand وماير Mayer وأخيراً ريلي سميث Rie-Smith. أما مدرستنا العربية فقد ساهمت حركة الترجمة للمصادر اللاتينية إلى العربية، والدراسات المتعمقة لعلماء التاريخ الوسيط من المصريين والعرب في إثراء هذه الدراسة المتواضعة.

وعلى الرغم من هذه الدراسات السابقة إلا أن هناك ثمة عوامل دفعت الباحث لدراسة هذا الموضوع. ومن بينها نشر وثائق جديدة ألقت الضوء على جوانب جديدة لهذه الخطب. يضاف إلى ذلك اختلاف آراء المؤرخين من قدامى وحديثين حول نصوص الخطب الثلاث التي أوردها المصادر المعاصرة. وأخيراً فقد عالج الباحث تساؤلاً هاماً حول دافع البابا من مشروعه وهل كان يهدف إلى تحرير الكنيسة الشرقية أو بيت المقدس من خلال الخطب والوثائق الأخرى.

وأخيراً أرجو أن تكون هذه الدراسة متكاملة لخطب البابا أريان في مجمع كليرمون والتي ألقى أولها عند افتتاحه في الثامن عشر من نوفمبر، ثم الثانية أثناء انعقاده، وأخيراً الخطبة الثالثة التي اختتم بها جلسات المجمع في ٢٧ من نفس الشهر عام ١٠٩٥م.

والله أسأل العزاد والتوفيق ،،

يُنسب أودو Odo إلى شاتيلون Châtillon ، وكان والده يوشار Eucher سيداً على لاجيرى Lagery الواقعة بالقرب من ريمز Rhemis ، وتلقى أودو تعليمه على يد القديس برونو SL Bruno مؤسس جماعة الكارثوسيان (١٠٢٢ - ١١٠١ م). وفي عام ١٠٦٨ م أصبح أودو راهباً في دير كلوني بالقرب من ماكون Mâcon . كما شغل منصب أسقف كاردينال أوستيا Ostia في فترة بابوية جريجورى السابع (١٠٧٣ - ١٠٨٥ م) . كما عمل مندوباً بابوياً في فرنسا وألمانيا في عامي ١٠٨٤ - ١٠٨٥ م. وشارك في سياسة البابا جريجورى السابع أثناء صراعه مع الامبراطور هنرى الرابع (١٠٥٦ - ١١٠٦ م) حيث أيد البابا في موقفه^(١) .

شهدت الفترة التي تلت موت البابا جريجورى السابع (١٠٨٥ - ١٠٨٧ م) صراعاً على الكرسي البابوي بين البابا فيكتور الثالث والبابا المعادى كلمنت الثالث. وتدخل في هذا الصراع عدة قوى مثل بعض الأمراء النورمان وماتيلدا كونتيسة توسكانيا ، واستطاع فيكتور الثالث دخول روما وترأس قداساً في كنيسة القديس بطرس وذلك في مايو ١٠٨٧ م. ولكن الأمر لم يطل به فقد مرض ومات في ١٦ سبتمبر من نفس العام^(٢) .

وبعد موت فيكتور الثالث استمر الكرسي البابوي شاغراً لمدة خمسة

(١) ولد أودو الذي يُشار إليه أحياناً نسبة إلى شاتيلون مسقط رأسه ، أو إلى لاجيرى التي كان يحكمها والده . وسوف يلعب أصله الفرنسي دوراً هاماً عند قيامه بالدعوة للعملة الصليبية الأولى التي سوف تنطلق من خلاله (فرنسا) .

- J.N. Kelly, The Oxford Dictionary of Popes, (Oxford, 1996), p. 158.

(٢) اختار الكاردينالات رئيس الرهبان سمبولوس أولف مونت كاسيلو ولكنه انسحب في البداية إلى ديره ولم يتم ترويجه حتى عام ١٠٨٦ م وحمل اسم البابا فيكتور الثالث . وينسب إليه أربعة مؤلفات عن معجزات للقديس بندكت وروهبان مونت كاسيلو ، وصلت ثلاثاً منها .
انظر:

- A.E. McMilliam, A chronicle of the Popes, from Peter to Pius x, (London 1912), pp. 256 - 57.

أشهره. وظل الصراع قائماً بسبب سيطرة أنصار البابا العاوي كمننت الثالث على روما. وفي مارس ١٠٨٨م أجمع مجمع كنسي في تراكينا Terracina حضره أربعون أسقفاً ورئيس دير بالإضافة إلى عدد من النواب من ألمانيا وتوسكانيا وتم اختيار أودوي شاتيون لكي يعلى الكرسي البابوي حاملاً اسم أريان الثاني وذلك في ١٢ مارس ١٠٨٨م^(١).

ويوصف فولشر الشارترى الجديد بأنه «رجل يستحق الإعجاب بحياته ومملكه، فقد ناضل بشجاعة وقوة من أجل إعلاء شأن الكنيسة المقدسة أكثر فأكثر»^(٢) أما المؤرخ الأنجلو سكسوني أوردريك فيتاليس فقد وصف أريان الثاني بأن إله اسرائيل قد اختاره قائداً ضد المسلمين وجعله كهرج داود وبقاعته لمواجهة دمشق، وكان فرنسي الأصل، نبيل المولد، كثير المعاملة، مواطناً من ريمز، وراهباً كلونياً^(٣)... ولا شك أن كل هذه الصفات، بالإضافة إلى عمله مع البابا جريجوري السابع - والذي بعد واحداً من أقوى البابوات - قد ترك أثره على خبرة أريان مما جعله أكثر حنكة من أستاذه

(١) اجتمع كاردينالات برونو وتوسكوم وألبانو، وعندما تم مزايلهم وفقاً للعادات والتقاليد المتبعة عند اختيار البابا الجديد صلحوا جميعاً نعم. وتم اختيار أريان الثاني. انظر:

- P.G. Maxwell - Stewart, Chronicle of the Popes, Thames & Hudson (ed.), 1997, pp. 90 - 91.

Fulcher of Chartres, A History of the Expedition to Jerusalem, (٢) 1095, 1127, trans. by France Rita Rayan, ed. H.S. Fink, (Knoxville, 1969), p. 61.

وتوجد له ترجمة قيمة مع دراسة وإفنية بطران: الوجود الصليبي في الشرق العربي - الإسطبان الصليبي في فلسطين، تاريخ الحملة إلى بيت المقدس ١٠٩٥ - ١١٢٧م تأليف لوشيه الشارترى ترجمة ودراسة وتطبيق د. قاسم عبده قاسم، الكويت ١٩٩٢.

(٣) The Ecclesiastical History of Orderic Vitalis ed. & trans. Mar-jorie Chibnall, (Oxford, 1973), IV, 8: 167: in: E. Peters (ed.), The First Crusade, The Chronicle of Fulcher Chartres and other source materials; (Philadelphia, 1998), p.18.

جريجورى . وسرعان ما عمل على معالجة مشاكله الداخلية خاصة فى ظل وجود البابا العنقلى كلمنت الثالث فى روما ومساندته من بعض القوى بها . واستمر أريان يرتحل من مكان إلى آخر، وعقد العديد من المجمع الديبىة فى تلك الفترة وذلك لكى يعالج المشاكل التى بدأ سلفه جريجورى السابع فى مواجهتها . وعاد أريان إلى روما فى عام ١٠٩٣ م بعد هذه السنوات الخمس وقد اكتسب خبرة سياسية وأتم بأحوال العالم الغربى آنذاك (١) .

بدأ أريان الثانى بعد عام واحد فقط من اعتلائه العرش البابوى تسوية خلافاته مع بيزنطة والتى كان يحكمها آنذاك الامبراطور الكسيوس الأول كومنين (١٠٨١ - ١١١٨ م) فأرسل فى عام ١٠٨٩ م سفارة بقيادة روجر رئيس أساقفة راجيو نجحت فى اصلاح العلاقات بين الجانبين كما تم رفع قرار الحرمان الصادر ضد الامبراطور البيزنطى . وبهذه الخطوة نجح أريان فى إيجاد حالة من السلم والصداقة على المستوى الرسمى مما مهد لقيام الحروب الصليبية بعد عدة سنوات (٢) . ويربط المؤرخ رالى سميث بين نية البابا فى نفس العام زيارته لغالة وبين تنفيذ مشروعه مما يدل على تفكيره فى استدعاء متطوعين فرنسيين لذلك (٣) . غير أن مثل هذه الآراء لا يمكن اثباتها دون وجود ما يدعمها فى المصادر آنذاك .

استمر ارتباط بيزنطة بالغرب الأوروبى نظراً للمشاكل التى كانت تعاني

(١) S. Runciman, The Councils of Piacenza and Clermont, in Setton (ed.), A History of the Crusades, vol. I, (Philadelphia 1958), pp. 220 - 224; Peters, op. cit., pp. 17 - 18.

(٢) استمرت المراسلات بين الجانبين بعد عودة السفارة إلى الغرب الأوروبى . وللمزيد انظر: سعيد عبد الفتاح عاشور: المعركة الصليبية، ٢ جزء، ط. ثانية القاهرة، ١٩٧١، ص ١١٣١ قاسم عبد قاسم: الخلفية الايدولوجية للحروب الصليبية - دراسة عن العملة الأولى ١٠٩٥ - ١٠٩٩ م، دار المعارف، ط. لرى ١٩٨٣، ص ١١٥

- S. Runciman, The Eastern Schism, (Oxford, 1955), pp. 61 - 62.

(٣) جونلطان رالى سميث: العملة الصليبية الأولى وفكرة الحروب الصليبية، ترجمة د. محمد فحس الشاعر، الهيئة المصرية للكتاب، ١٩٩٣، ص ٢٠ .

منها وتهديد الأتراك السلاجقة لأراضيها. واختلفت آراء المؤرخين الحديثين حول ذلك الخطاب المنسوب إلى الكسيوس الأزل والذي قيل أنه أرسله إلى روبرت الأزل أمير الفلاندرز (١٠٧١ - ١٠٩٣م) طالباً منه المساعدة العسكرية لصد هجمات الأتراك السلاجقة، ثم قيامهم بالزحف باتجاه الأراضي المقدسة لتخليصها من قبضة المسلمين. ومن الثابت تاريخياً وجود علاقة بين الكسيوس وروبرت الأزل وذلك عندما مر الأخير في عام ١٠٨٧ ببيزنطة أثناء عودته من الأراضي المقدسة وطلب منه الكسيوس إرسال قوات مرتزقة قوامها خمسمائة فارس. وبالفعل أوفى بوعده وأرسلها حيث شاركت في مهاجمة نيقوميديا عام ١٠٨٩م^(١). ومما لا شك فيه أن كل هذه الأحداث كان لها أثرها على فكر البابا أريان الثاني وهو ينقل ما بين بلد وآخر مما سيكون له الأثر الواضح على دعوته للحملة الصليبية الأولى.

توجه البابا أريان الثاني إلى بيتشانزا في مارس ١٠٩٥م وعقد هناك مجمعاً دينياً. ويذكر وليم الصوري أنه كان مجمعاً محلياً لكل إيطاليا. وبالإضافة إلى رجال الدين الذين حضروه، فقد جاء اختيار أريان لهذه المدينة علامة لها مغزاهما في صراعه مع الامبراطور هنري الرابع. فقد كانت المنطقة المحيطة بها تضم العديد من مؤيدي الامبراطور، وبالتالي فإنه يمثل علامة بارزة في نجاح البابوية. أما عن سبب عقد المجمع فيذكر وليم الصوري أن الحالة المتردية التي وصل إليها بنو آدم وكانت الحافز لإتخاذ تلك الخطوة لرد مغالاتهم^(٢). والواقع أنه تم بحث العديد من مشاكل الكنيسة،

(١) أطلق على هذا الخطاب اسم "Epistula Supria". وللعزید انظر: جوزيف لسيوم برسف: دراسات في تاريخ العلاقات بين الشرق والغرب في العصور الوسطى، الإسكندرية، ١٩٨٢، ص ١٢ - ١٢٠، حطين محمد ربيع: دراسات في تاريخ الدولة البيزنطية، القاهرة، ١٩٨٣، ص ٢٠٥ - ٢٠٧ رأفت عبد الحميد محمد: قضايا من تاريخ الحروب الصليبية، دار عين، ١٩٩٨، ص ٧٣ - ٧٤. وأضائف للكثير رأفت رأياً جديداً فيما يتعلق بهذا الخطاب وتاريخ كتابته.

William of Tyre, A History of Deeds Done Beyond the Sea, 2(2) vols., trans. and annotated by E. Babcock and A. C. Krey, (New

ومشكلة فيليب الأول ملك فرنسا (١٠٦٠ - ١١٠٨ م). وكانت المسألة الأكثر أهمية حضور سفيرين من الامبراطور ألكسيوس سمح لهما البابا بالحضور وعرض طلب المساعدة من الغرب الأوروبي. وأقنع البابا بضرورة إرسال هذه القوات، وشجع الحاضرين على القسم بمساعدته بكل اخلاص وبأقصى ما عندهم لمقاومة الكفار وإرسال جيش بأكمله إلى الشرق وهو ما لم يكن يرغب فيه ألكسيوس^(١).

والسؤال الهام الذي يفرض نفسه هنا هو هل أثرت في مجمع بيتشانزا فكرة الحرب الصليبية؟ اختلفت آراء المؤرخين الحديثين فيما يتعلق بهذا الأمر وتفسير ذلك عدم وجود مادة تاريخية كافية عن هذا المجمع، فلم تتجاوز المعلومات عنه في مصادر الحملة الأولى سوى بضعة أسطر^(٢). ومن

-/-

York, 1943), vol. I, pp. 87 - 88.

وتوجد ترجمة عربية قيمة ودراسة واقعية لشخصية ولهم الصوري قام بها الدكتور حسن حبشي، صدر في أربعة أجزاء. انظر: الحروب الصليبية تأليف ولهم الصوري ترجمة د. حسن حبشي، القاهرة، ١٩٩١، محمد محمد مرسى الشيخ: للنظم والحضارة الأوربية في العصور الوسطى، الإسكندرية، ١٩٩٨، ص ١٦٨ - ١٧٤.

Runciman, The Eastern schism, pp. 78 - 88. (1)

وتؤكد المؤرخة أنا كرمدينا لجنة ألكسيوس الأول أن والدها لوجي عند سماعه بتحريك هذه الأعداد الضخمة وتخوف من هجومها على القسطنطينية. انظر:

The Alexiad of Anna Cominna, trans by E.R.A. Sewter (Penguin Books) 1982, pp. 308 - 9.

(٢) يوجد تشابه في عبارات ولهم الصوري التي سبقت حديثه عن مجمع بيتشانزا مع عبارات فولشر الشارنزي، غير أن الأخير لم يذكر المجمع، وتجدد الإشارة إلى وجود مصدر هام عن هذا المجمع هو:

Bernold of Constance, Chronicon (MGH, Ss., vol. V)

ولم يستطع الباحث العثور عليه واكتفى بالاعتماد على الإشارات التي وردت في المراجع الحديثة عنه. ولم يذكر برنولد التبشير بالحملة في مجمع بيتشانزا أو كليرمون واكتفى بالإشارة إلى مسير القوات الصليبية إلى بيت المقدس عام ١٠٩٦ م، انظر:

Runciman, The councils, p. 243.

البيهي أن البابا كان في ذمته الإعداد لهذه الحملة منذ عدة سنوات وظل يحثن الفرصة المناسبة لإظهارها. من ناحية أخرى فإن أريان لن يعرض فكرته في مجمع محلي روسط منطقة تخضع أغلبها لمؤيدي البابوية، ولكنه أكد في هذه المرحلة بالخطوة الأولى وهي إظهار حاجة الإمبراطورية البيزنطية للمساعدة وحصل على الموافقة بتقديم العون لها. ويشير المؤرخ شارانيس P.Charanis اعتماداً على أحد النصوص اليونانية من القرن الثالث عشر الميلادي أن أكسيوس استغل الشعور السائد في الغرب الأوروبي عن استيلاء الأتراك السلاجقة على الأراضي المقدسة لا يمكن إهماله^(١).

بعد إنتهاء مجمع بينشانزا توجه البابا أريان عبر جبال الألب إلى غالة. وبدأت ملامح فكرته في الظهور على أرض الواقع. فقد عقد مجمعين في فيزيلييه وروي في يوليو وأغسطس ١٠٩٥م. ثم قام بجولة بين عدد من المدن الفرنسية مثل نيمس Nimes وسان جيل وليرن وكلوني وذلك قبل أن يتوجه إلى كليرمون^(٢). واستغل البابا في هذه المرحلة الأحوال السيئة التي يمر بها الغرب الأوروبي من ناحية، والدولة البيزنطية من ناحية أخرى كدعاية تمهيدية لمشروعه. ويحال المؤرخون الحديثون تحركات البابا أريان قبيل عقد مجمع كليرمون وخاصة رحلته إلى مجموعة من الأديرة الكلونية ومقابلته لهؤلاء الرهبان والذين كانت لديهم خبرة طويلة في محاربة المسلمين في

(١) Runciman, The Councils, p. 244.

وكذلك ماير: تاريخ الحروب الصليبية، ترجمة وتعليق د. عماد الدين غانم، مجمع الفاتح - ليبيا، ١٩٩٠، ص ٢٥.

(٢) ذكر فولشر الشارترى المفسد والشور والجرائم المختلفة في العالم، كما أشار إلى احتلال المناطق الداخلية من رومانيا (يقصد الأناضول) وتعرض المسيحيين الشرقيين للغزو من جانب الأتراك السلاجقة وهو ما حدث بعد ما تذكرت ١٠٧١م. ولم ينكر مجمع فيزيلييه روي وإنما ذكرهما وإيم السوري دون بقية المصادر الأخرى والذي ينقل عن أحد مصادر الحملة الأولى دون أن يشير إليه. انظر:

Fulcher of Charters, op. cit., pp. 61 - 62' William of Tyre, op. cit., vol. I., pp. 87 - 88.

وعن تحركات البابا في غالة انظر خريطة رقم (١).

الأندلس. إلى جانب مقابله لادهيمار المونتيلي Adefmar of Monteil والذي قيل أنه زار الأراضي المقدسة عام ١٠٨٧م^(١)، وكذلك ريموند السجيلي كونت تولوز والذي يعد واحداً من أكبر الأمراء في جنوبى غالة. ولا شك أن البابا أريان الثاني استفاد من خبرة هذه الشخصيات الدينية والدنيوية في مشروعه الذي كان يخطط لإعلانه. وأمدوه بخبراتهم عن الأراضي المقدسة وحالة الدولة البيزنطية وفكرة الحرب المقدسة ضد المسلمين^(٢).

أرسل البابا أريان الثاني مندوبيه إلى المناطق المختلفة للمشاركة في المجمع الذي دعا له في كليرمون. وكان البابا آنذاك في بوى حيث تقابل مع ادهيمار - والذي سوف يختاره البابا مندوباً بابوياً في كليرمون. ومعاً لا شك فيه أنه تشارف معه فيما يتعلق بمشروعه للدعوة للحملة الصليبية^(٣). وصل البابا إلى كليرمون في الرابع عشر من نوفمبر وقد أختمرت في ذهنه الفكرة التي خطط لها من قبل ولم تكن وليدة اللحظة في كليرمون. وبدأت أعمال

(١) ريموند أدهيمار من أسرة فالينوير Valentinois النبيلة، وأشتهر بقرصينه واستخدامه الجيد للصلح حيث تمكن من الدفاع عن كنيسه ضد هجوم للسادة النبلاء، كما خرج في قواته الخاصة ضمن قوات ريموند كونت تولوز. انظر:

Runciman, The Councils, p. 249.

(٢) كانت نيمس وناريون وتولوز تابعة لريموند، بالإضافة إلى أنه كان مركزاً لبروفانس انظر: Runciman, The Councils, p. 225.

(٣) يضيف المؤرخ ماير دليلاً آخر على تشارف البابا مع هذه الشخصيات قبل إعلانه في كليرمون وذلك بسبب أن ريموند وصلوا إلى كليرمون في أول ديسمبر بعد انتهاء المجمع بثلاثة أيام حاملين موافقة سيدهم على المشاركة في الحملة ولم يكونوا قد سمعوا بخطبة البابا. ويظل ماير على ذلك بسابق معرفة ريموند بمشروع البابا. أما المؤرخ زايفر فيذكر أن دعوة البابا للشخصيات غير الدينية للحضور إلى المجمع، بالإضافة إلى العامة دليل آخر على أن هناك أمراً ما سوف يتم الإعلان عنه بعد انتهاء المجمع. للمزيد: ماير: المرجع السابق، ص ١٧٤ زايفر: الصليبيون في الشرق، ترجمة الياس شاهين، دار التنديم - موسكو، ١٩٨٦، ص ٤٢ - ٤٣.

المجمع في الثامن عشر من نوفمبر والذي استمر لمدة أسبوع ناقش خلاله المجتمعون العديد من المسائل الدينية، بالإضافة إلى مسائل أخرى^(١).

ولم يَختم المجمع ألقى البابا أوربان الثاني خطبته التي أوردتها أربعة من المصادر المعاصرة^(٢). وأجمع معظم المؤرخين على أن البابا ألقى خطبة واحدة وذلك في ٢٧ نوفمبر أي في ختام المجمع. غير أن مونرو Munro خالف هذه الآراء وأشار إلى ثلاث خطب خلال إنعقاد هذا المجمع^(٣). وفي البداية فإن الباحث يتفق معه في هذا الرأي وذلك اعتماداً على تحليل النص الذي أورده فولشر الشارتري. ولكنني اختلف معه فيما يتعلق بفصولها التي أشار إليها من خلال صفحات فولشر الشارتري. ونص الخطبة الأولى التي تمثل افتتاح المجمع في يوم الثامن عشر من نوفمبر في الكرسي الأولى لدى فولشر والدليل على ذلك ما ذكره بعد أن أشار إلى أحوال الدولة البيزنطية وتوجه البابا إلى بلاد الغال وإرساله مبعوثيه للدعوة لهذا المجمع، يسجل إلى الآتي:

(١) من بين القضايا مشكلة فيليب الأول ملك فرنسا وخيانته الزوجية، بالإضافة إلى مشاكل التقليد العلماني والجمونية. انظر: ماير: المرجع السابق، ص ٢٣.

(٢) لا تزال آراء المؤرخين المحدثين مختلفة بشأن تواجد أصعب هذه المصادر ضمن المعاصرين في مجمع كليرمون ولكن ما يهمنا أن أياً منهم لم يسجل نصه في الحال، وإنما من ذكرتهم فيما بعد. كما أن أياً منهم لم يدع أن ما كتبه هو النص الكامل للخطب. وهذه المصادر التي اعتمدت عليها المرجع الحديثة هي:

أولاً: نص المؤرخ المسجون لإعمال الحجاج.

ثانياً: نص فولشر الشارتري.

ثالثاً: نص روبرت للراهب (روبرت الريمزي).

رابعاً: نص جيريت التوجانتي. وبالإضافة إلى ذلك يوجد نص هام اعتمد عليه الباحث هو نص بطرس تيدورد.

Dana C. Munro, "The Speech of Pope Urban II at Clermont, 1095", *American Historical Review* (AHR). 11, 1906), pp. 231-242.

ويأخذ بهذا الرأي أيضاً المؤرخ ريلبي سميت - العملة الصليبية الأولى، ص ٢٢.

٤- وفي اليوم المحدد - [وبطبيعة الحال يقصد بداية المجمع في ١٨ نوفمبر] جمعهم أريان حوله، وفي خطاب بليغ أوضح لهم السبب من عقد الاجتماع. وفي نبرات آسفة صائرة عن كنيسة تعاني أخير البابا عن أسباب معاناتها الكبرى. وألقى عظة مدروسة تناول فيها شروخ هذه الدنيا حيث أهين فيها الإيمان كما ذكرنا آنفاً^(١).

ثم يكمل فولشر حديثه عن هذه الافتتاحية بأن البابا حث الجميع على التمسك بمقيدتهم، وأن يوطنوا في نفوسهم العزم الأكيد للتغلب على خصال الشر، وأن يقبلوا الكنيسة المقدسة، التي أضعفها الشر، من عثرتها ويعيدوها إلى سالف مجدها. وأنهى فولشر هذه الخطبة وينتقل بعد ذلك إلى عنوان آخر^(٢).

وإذا عقدنا مقارنة بين رواية فولشر السابقة وبين ما ذكره المؤرخ المجهول بطرس تيديوده نجد أنهما لم يذكرا الخطبتين الثانية والثالثة - كما أضافا العديد من الفقرات من الأناجيل في نصيهما وهر ما لم يذكره فولشر في خطبته الأولى^(٣).

(١) Fulcher of Charters, op. cit., I (4 - 5), pp. 62.

(٢) Ibid.

(٣) لم يذكر أياً من المراجع الحديثة الاعتماد على بطرس تيديوده. فقد كان الاعتقاد السائد أنه نقل ما كتبه المؤرخ المجهول لأعمال الفرنجة وأضاف إليه فقرات من كتاب ريموندلهيل. ولكن الدراسات الحديثة أثبتت أهميته كمصدر أصيل عن العملة الأولى وربما كان ضمن العاصرين في مجمع كليرمون وتكر جانباً منه بصورة مضمرة، وكتب مرفقه في الأراضى المقدسة بعد انتهاء العملة وقبل عرودة جموعها إلى الغرب الأوربي. للمزيد حسن عهد للوهاب حسين: استيلاء الصليبيين على بيت المقدس (١٠٩٩م) في ضوء رواية بطرس تيديوده - دراسة تاريخية مقارنة - مقال في مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعى للعروب الصليبية، الاسكندرية ١٩٩٧، ص ١١ - ١١٤

Tudebodus, Petrus, Historia Hierosolymitano itinere, trans.

J.H. Hill and L.I. Hill, (Philadephia 1974), p. 15.

وتوجد له ترجمة عربية قام بها الدكتور حسين محمد عطية، وعن نص المؤرخ المجهول

أما الفصل الثاني من الكراسية الأولى فقد علونه فولشر «مرسوم أريان في نفس المجمع، وقسمه إلى أربع عشرة فقرة تضمنت الثماني الأولى نصائح للحاضرين مستعيناً بفقرات من الأناجيل عن العصاة وضرورة تقويمهم وتقديم النصيح والإرشاد لهم، والعقوبات التي تلتزم المخالفين لأوامر الرب، بالإضافة إلى ضرورة إصلاح أنفسهم حتى يتمكنوا من إصلاح الآخرين^(١). وعلى الأرجح أن هذا هو نص الخطبة الثانية والدليل على ذلك أنه وجهها إلى رجال الدين في المجمع مخاطباً إياهم «بوزراء الرب»^(٢). ثم أشار فولشر في الفقرات ٩ - ١٤ إلى جانب من القرارات الصادرة عن المجمع. وفي الفقرة التاسعة أشار فولشر إلى السيمونية واصفاً إياها بأن جذورها تضرب بأطنابها بينهم وحذرهم أن تتحول إلى تجارة»^(٣). وفي الفقرة العاشرة أشار

The Speech of Urban: The Gesta Version (Peters ed.), pp. 25 - 26.

وكذلك قاسم عبده قاسم: الحروب الصليبية نصوح وروايق، الحملة الأولى، القاهرة ١٩٨٥، ص ٧٦. وقارن أيضاً ترجمة د. حسن حبشي: أعمال الفرنجة وحجاج بيت المقدس، القاهرة ١٩٥٨.

Fulcher of Chartres, op. cit., pp. 62 - 65. (١)

(٢) أشار مورنو أن الخطبة الثانية لأريان وردت لدى فولشر في الفصلين الثاني والثالث. والأصرب أنها هي الفصل الثاني فقط وهو ما سرف أناقشه في الخطبة الثالثة. انظر:

Munro, Speech of Pope Urban, p. 232, n. 16.

(٣) السيمونية هي دفع رشوة مقابل الحصول على المناصب الكنسية، وتنسب الكلمة إلى سيمون الساحر الذي أراد شراء هبة للفوارق والإتيان بالتهجرات من القديس بطرس فقال له ولكن فضلك منك للهلاك إنك تطلب أن تشرى مرهبة لله بنارهم. وعرفت لدى الكنيسة الشرقية باسم «الشرطونية». وفي إحدى الوثائق اللاتينية وردت بمصطلح آخر هو Pol-lucas Sit أي «أكسدت ذمته». كما لطلق عليها في القرن الثاني عشر الميلادي اسم Lady Purse أي «محفظة النقود» كناية عن دفع الرشوة.

حسن عهد الرهاب: الرشوة في المجتمع الصليبي في بلاد الشام منذ الحملة الصليبية الأولى وحتى سقوط بيت المقدس (١٠٩٥ - ١١٨٧ م / ٤٨٨ - ٥٨٣ هـ)، ص ٩١ - ٩٧ - ضمن كتاب مقالات وبحوث في التاريخ الاجتماعي للحروب الصليبية.

إلى مشكلة التقليد العلماني والزامهم بدفع عشر ثمار الأرض^(١). كما فرض اللعنة على كل من يقبض أو يحتجز رجال الدين أو الحجاج والتجار أو يذهب ممتلكاتهم وذلك ضمن الفقرة العادية عشر. ويحذر بعد ذلك في الفقرة الثانية عشرة السارق والعقوبة التي ستحلق به إلى الأبد. وطالب الحاضرين بفرض العدالة وذلك لكي يتمكن الناس من السفر بدلاً من حالة الخوف التي سيطرت عليهم بسبب اللصوص وقطاع الطرق^(٢). وتناول في الفقرة الرابعة عشر الهدنة المعروفة لدى العامة، وضرورة فرضها من جديد والتهديد بفرض عقوبة الحرمان على المخالفين^(٣). وعلق بعض المؤرخين الحديثين على هذا

(١) ظهرت مشكلة التقليد العلماني عندما أصدر جريجوري السابع قراره في عام ١٠٧٤م بحرمان الملك والسلطات العلمانية من حق تعيين رجال الدين في مناسبتهم مما أدى إلى صراع طويل مع الامبراطورية شغل المرحلة الأولى في الصراع بينهما، والذي كان فترة باوية أريان الثاني أحد مراحله وتخل في صراع مع الامبراطور هنري الرابع وعدد من ملوك أوروبا في عصره. وانتهت هذه المشكلة في عام ١١٢٢م باتفاقية ورمز في عهد هنري الخامس والبابا كالكلمن الثاني. انظر:

O.J. Thatcher, A Source book for Mediaeval History, (New York, 1905), pp. 134, 135, 162.

وكذلك: سعد عبد الفتاح عاشور: أوروبا العصور الوسطى (التاريخ السياسي)، ص ٢٤٧ - ١٣٤٨ محمد محمد مرسى الشيخ: تاريخ أوروبا في العصور الوسطى، الإسكندرية، ١٩٩٦، ص ٣١٣ - ٣٧٢.

(٢) بالإضافة إلى ما ذكره البابا أريان في خطبته، كانت هيئة الرب المعلقة في أسقفية كولن عام ١٠٨٣م قد حرمت الإعتداء على المسافرين أو القيام بالسرقات واستخدام الأسلحة بكافة أنواعها. كما أن قرارات المجمع تضمنت العديد من الشروط أو القرارات المتعلقة بتأمين المشاركين في العملة. انظر:

The Truce of God Proclaimed in the Diocese of Cologne, (Peters. ed.), pp. 38 - 41; Roger of Wendover, Flowers of History. Comprising the History off England from the Descent of the Saxons to A.D. 1235, trans from latin by J.A. Giles, 2 vols. (London, 1848) vol. I, 374 - 75.

(٣) يرجع الاهتمام بفرض السلام إلى عام ٩٨٩ في مجمع شارو Charroux، واستمرت المجمع التالية الاهتمام به حيث ظهرت صيغة جديدة للقسم طوله في عام ١٠١٦م، كما

البلد الأخير حيث ذكروا أن البابا رغب في فرض السلام في أوروبا وكذلك بين المسيحيين عامة من خلال فرض هدنة الرب^(١). وفي حقيقة الأمر فإن البابا أريان هدف إلى استغلال هذه الهدنة لصالح دعوته وذلك بوقف الحروب بين السادة الاقطاعيين ونقلها إلى خارج أوروبا ضد المسلمين في الأراضي المقدسة.

ويتنقل فولشر الشارترى إلى الفصل الثالث وعنوانه «دعوة أريان إلى القيام برحلة حج إلى بيت المقدس»^(٢) ويطلق مترجم كتاب فولشر بأن هذا العنوان لا يتناسب مع محتوى الفصل وذلك لعدم ذكر بيت المقدس أو الصريح المقدس أو الأراضي المقدسة، بينما يتناول إنقاذ بيزنطة كهدف للحملة الصليبية. وفي الواقع فإن النص يشير إلى إنقاذ المسيحيين الشرقيين، وفي نفس الوقت فإنه يذكر بطريقة غير مباشرة في الفقرة الخامسة القتال ضد المسلمين في الأراضي المقدسة^(٣). ومن ناحية أخرى يذهب المؤرخ مونرو بأن هذا الفصل الثالث يمثل الخطبة الثانية أيضاً، والأصوب أنه يتناول الخطبة الثالثة والدليل على ذلك أنه يبدأها بتوجيه البابا الشكر للحاضرين على مراعاة قراراته ومراسيمه التي أصدرها في هذا المجمع وهو ما ورد في

-/-

كان ندور الرهبان الكولونيين دور هام في تطبيقه والتأكيد عليه. وتم تعديد لرمحة أمام في الأسبوع لوقف الحرب، ثم أمام أخرى على مدار العام. وللمزيد انظر:

The Truce of God Proclaimed at the Councils of Clermont (Peters, ed.), p. 41;

وتجدر الإشارة إلى أن بطرس ناشر الوثيقة ذكر أن هدنة الرب لم تكن جزءاً من الهدنة للصليبية، ولكن الإشارات الواردة في الخطبة الثانية لأريان تناقض ذلك للرأي. وكذلك انظر: قاسم عبده قاسم: كنفولة الأيديولوجية، ص ١١٧ زابروف: الصليبيون، ص ١٤٦ ماير: تاريخ الحروب الصليبية، ص ٢٤.

(١) زابروف: الصليبيون، ص ٤٦.

Fulcher of Charters, op. cit., pp. 65 - 67.

(٢)

Ibid., p. 65, n.1.

(٣)

الخطبة الثانية . ثم يوجه حديثه لفرسان والمشاة أغنياء وفقراء للمسارة بانقاذ السكان المسيحيين قبل فوات الأوان^(١) .

على أى حال، تمثل هذه الخطبة ما ورد فى معظم المراجع الحديثة على أنها الخطبة الوحيدة التى ألقاها أربان فى أوفريلى خارج الكنيسة حيث استمع إليه جموع الحاضرين سواء من رجال الدين أو عامة الناس الذين توافدوا على المدينة . واختلفت نصوص الخطبة اثنائه بسبب تركيز كل مؤرخ على نقاط معينة بسبب كتابتها من ذاكرتهم بعد عدة سنوات من عقد المجمع، وكذلك لأختلاف أسلوب كل مؤرخ عن الآخر^(٢) . واعتمد الباحث على نص الخطبة لدى فولشر الشارتري - لعدم اكتمال نص كل المؤرخ المجهول وبطرس تيدبوره من ناحية، ولتسجيله نصها قبل المؤرخين الثلاثة الآخرين^(٣) .

(١) يشير مولرو أن الخطبة الثالثة فى الفصل الرابع لدى فولشر . ومراجعة هذا الفصل لا يوجد فيه سوى اختيار لدهيمار مندراً بابوياً بعد الخطبة، وبعض الأمور التنظيمية الأخرى فى الإعداد للحملة ولا تدخل فى نطاق الخطبة .

(٢) عن آراء المؤرخين الحديثين بشأن الخطب انظر: ماير: تاريخ الحروب الصليبية، ص ٢٢ - ٢٤ رالى سميث: الحملة الأولى، ص ١٢٠ قاسم عبده: الخلفية الأيدولوجية، ص ١٠٩ - Munro, Speech, p. 232 - 33' Runciman, The Councils, pp. ١١٠ - 220, 239 - 41.

(٣) اختلفت الآراء حول بداية تسجيل فولشر لتاريخه . وعلى الأرجح أن ذلك كان بين عامى ١١٠٠ - ١١٠١م ثم أعاد تنقيح ما كتبه فى عامى ١١٠٥ - ١١٠٦م . واعتمدت المصادر التى أوربت الخطبة على أعمال المعاج - والذي لم يصلنا من خطب البابا لديه سوى الخطبة الأولى فى افتتاح المجمع . ويذكر روبرت الراهب أن راعياً يدعى برنارد أطلق على نسخة منه لكى يعيد كتابتها بأسلوب أنق دون أن يفكر هل أورد الخطب الثلاث أم لا . وللمزيد: مقدمة فولشر الشارتري فى ترجمة الدكتور قاسم عبده، ص ٤٦؛ وكما تجدر الإشارة إلى أن كلاً من د. سعيد عاشور ود. حسين ربيع أوردتا نص الخطب نقلًا عن فولشر الشارتري انظر: Fifty Documents in Medieval History, compiled by Dr. Said Ashor & Dr. Hassanein Rabie, (Second. Ed. Cairo, 1987), pp. 77 - 79.

وبعد مقارنة نصوص الخطبة لدى المصادر الأربعة الرئيسية يمكن أن نوضح الجوانب التالية:

أولاً: أجمعت المصادر الأربعة على ضرورة مساعدة الغربيين لإخوانهم المسيحيين في الشرق، وأشارت إلى ما تعرضت له مملكة اليونانيين، و«القسطنطينية»، من جانب جنس الفرس (الأتراك). كما ذكرت ضرورة حماية الكنائس الشرقية وما سيعود على الغربيين من السعادة لذلك^(١).

ثانياً: فيما يتعلق بالحديث عن جنس الأتراك نجد أن قولشر يصلحهم بالخسة وحذر من معاقبة الرب في حال النقاعس عن مواجهتهم. أما روبرت الراهب فكان أكثر المصادر حدة في لهجته في الحديث عنهم وإدعاء قيامهم بأعمال القتل والذبح وصلف التعذيب الأخرى للمسيحيين الشرقيين إضافة إلى اغتصاب النساء. بينما لتهمهم بلديك بالأعداء على الكنائس الشرقية واستهانتهم بالدين المسيحي. أما جيبرت فلم يتناول هذا الجانب في نصه عن خطبة البابا^(٢).

(١) أشار بلديك إلى البيوتليين بطريقة غير مباشرة عندما أوضح الخطر الذي تتعرض له الكنائس الشرقية ومن بينها كنيسة القسطنطينية. وهذا يخالف ما ذكره رانسيمان أن بلديك لم يشر إلى اليونانيين.

The Speech of Urban: The Version of Baldric of Dol, (Peters), pp. 29 - 33; Runciman, The Councils, p. 241.

وكذلك قاسم عبده: لصوص رونانق، ص ٨٥ - ٨٩.

(٢) يحد روبرت الراهب أكثر المصادر تفصيلاً عن اتهام الأتراك للصلاحفة بأعمال الذبح والتعذيب الأخرى. ولا شك أن ذلك كان له هدفه من أجل إثارة حماس الغربيين ضد المسلمين في الوقت الذي سجل فيه روبرت كتابه حوالي عام ١١٠٧ م. وكان برهمند أمير أنطاكية آنذاك في الغرب الأروسي من أجل الإعداد لعملية جديدة. انظر:

The Speech of Urban: The Version of Robert of Rheims, (Peters.) pp. 26 - 29; Fulcher of Charters, op. cit., pp. 192 - 93.

وكذلك قاسم عبده: لصوص رونانق، ص ٧٧ - ٨٠.

ثالثاً: ذكر فولشر أن البابا دعا إلى وقف الحرب ضد المؤمنين (يقصد محاربة بعضهم البعض) والتحول لمحاربة الكفار (يقصد المسلمين حسب اعتقاده للباطل) كما طالب اللصوص بأن يتحولوا إلى جند للمسيح، والمرتزة للحصول على المكافأة الغالدة بدلاً من حفة النقود الفضية. ويتناول بلديريك نفس المعنى عن محاربة الفرسان بعضهم البعض، وكذلك اللصوص وأعمالهم التي يجب أن تتحول إلى محاربة المسلمين بدلاً من إخوانهم المسيحيين، ومن يخالف ذلك سوف تحل به اللعنة الأبدية، بينما الآخرون سوف يحصلون على الشهادة. أما روبرت الراهب فقد ذكر ذلك بصورة مختصرة حيث دعاهم لنبذ الخلافات ثم التوجه للصريح المقدس^(١).

رابعاً: اتفق فولشر وبلديريك على دعوة البابا أريان للتسارسة بأن يقوموا بحث الناس سواء من الفرسان أو المشاة وشيرهم للمشاركة في تلك الحرب المقدسة. وأن يكون دورهم من خلال كنانتهم للتبشير بالرحلة إلى بيت المقدس بروح صافية وخالصة. أما المصدران الآخران فلم يشيرا إلى هذه النقطة، وتجدر الإشارة إلى وجود وثائق بعد انتهاء المجمع لتنظيم دور رجال الدين في الحملة الصليبية^(٢).

(١) حارل جريجورى السابع الربط بين تحويل القنلة واللصوص إلى محاربين، واتخاذ للمسيحيين الشرقيين ولكنه فشل في ذلك. أما الربط بين فكرة الحج والحرب فقد أخذت تظهر شيئاً فشيئاً، ولم يكن بابوات القرن الحادى عشر هم أول من دعا إلى استخدام تلك الحرب، بل نجد للبابا ليو الرابع (٨٤٧ - ٨٥٥) وبيوحنا الثامن (٨٧٢ - ٨٨٢) وذلك في الصراع ضد المسلمين والفيكيكج. انظر:

Runciman, the Councils, p. 243; The Pilgrimages to Palestine Befor 1095, pp. 68 - 80 [in Setton (ed.)] vol. I.; John Gilchrist, The Papacy and War against the Saracens, 795 - 1216; International History Review, 10, 1988, pp. 174 - 197.

(٢) ذكر أريان الثانى في خطابه المزمخ في ٧ أكتوبر ١٠٩٦ إلى رهبان دير فالر مبروسا تنظيم

دور رجال الدين في الحملة والمعوية الملروضة على المخالفين منهم لذلك انظر:

Urban's Letter to the Monks of the Congregation of Val-lombrosa, (Peters.) pp. 44 - 45.

خامساً: ذكر فولشر أن البابا أمر بعدم تأجيل خروج المشاركين في الحملة وأن عليهم تدبير أحوالهم، وأشار روبرت الراهب إلى تحذير أريان من التردد للخروج سواء بسبب الخوف على ذريهم أو أملاكهم حيث فرض حمايته عليهم. أما بلدريك فيشير إلى نفس المعنى من حيث طمأنة البابا للمشاركين على أملاكهم وزوجاتهم حتى عودتهم. ويضيف روبرت الراهب بأن البابا منع خروج الكهول والضعاف والنساء بدون أزواجهن أو أشقائهن أو ممن يقومون بحمايتهم مع الحملة، لأن هؤلاء جميعاً يشكلون عائقاً^(١).

سادساً: وعد البابا - كما يذكر فولشر - المشاركين في الحملة بغفران ذنوبهم. وانفرد فولشر بالإشارة إلى هذا الجانب دون بقية النصوص. ويبدو أن هذا كان من بين قرارات للمجمع وليس ضمن نص خطبة البابا^(٢).

(١) نكر جيمس بروندج اعتماداً على روبرت الراهب بأن البابا منع النساء المشاركة في الحملة الصليبية ومراجعة ما ذكره روبرت نجد أن المنع لم يكن مطلقاً لأنه لشروط المنع على النساء اللاتي لا يرافقن أزواجهن أو أشقائهن أو حرسهن. انظر:

J. A. Brundage, *Prostitution, Miscegenation and sexual Purity in the first crusade*, in *crusade and settlement*, pp. 57 - 65.

وتوجد ترجمة للمقال في حسن عبد الرهاب: مقالات وبحرث في التاريخ الاجتماعي، ص ١٦٩ - ١٨٨.

(٢) قدم المؤرخ مابر تحليلاً مسهباً حول العلاقة بين الصليبية وصكوك الغفران. وذكرت وثيقة من البابا أريان أن من ينهب من أجل تحرير كنيسة الرب يجب أن يكون دافعه الإخلاص فقط، وليس من أجل العصور على المال أو الشرف. انظر: مابر: تاريخ الحروب الصليبية، ص ٤٥ - ٦٣، Brundage, op. cit., p. 57. ومن الوثيقة: *The Privilage of Urban to the Pilgrims (Peters.)* p. 37.

وتجدر الإشارة إلى أن المؤرخ سورملول حصر تسماً وعشرين قراراً عن مجمع كليرمون، وقدم المؤرخ هيسلتند دراسة أخرى للقرارات الثلاثين. انظر:

R. Hiestand, *Les canons de Clermont et d'Antioch sur l'organisation ecclésiastique des états croisés: authentiques ou faux? in Autour de la première croisade*, ed. M. Balard, (Paris, 1996), pp. 29 - 37.

سابعاً: انفرد روبرت الراهب أن البابا أشار إلى قصص الأسلاف العظام مثل شارلمان وابنه لويس وغيرهما من الملوك الذين دمروا ممالك الوثنيين ومدروا حدود الكنيسة المقدسة داخلها^(١).

ثامناً: تنازلت المصادر الثلاثة - فيما عدا فولشر - أحوال الأراضى المقدسة بصفة عامة والقدس بصفة خاصة. ومنها من تحدثت عن المعاناة التي يلقاها الحجاج في طريقهم سواء أكانوا من الأغنياء أو الفقراء. وقدم جيبرت صورة فيها مبالغة شديدة عن وسائل التفنيس التي يتعرضون لها من جانب المعلمين. كما عرض المؤرخون الثلاثة وصفاً لأحوال بيت المقدس وأصقوا بالمسلمين العديد من التهم بشأن الأماكن المقدسة وأعمال التخريب التي حدثت لها^(٢). كما انفرد بلديريك بالإشارة إلى كنيسة أنطاكية دون بقية المصادر الأخرى.

تاسعاً: أورد جيبرت قصة المسيح النجال وحاول توظيفها لإستيلاء المسيحيين

(١) ارتبط شارلمان بأسطورة شهيرة ذكرت نعايه إلى فلسطين، كما دارت كثير من الروايات عن دوره في الحروب ضد المسلمين في الأندلس وعلاقته بالخليفة العباسي هارون الرشيد وعن هذه الأسطورة وفور شارلمان لنظر: جوزيف نسيم بروسف: أنشودة رولان وقبعتها التاريخية وما أثير حولها من جدل ونقاش - ندوة التاريخ الإسلامي والربيع، ١، ١٩٨٢، ص ٧٧ - ١١٠٤ قاسم عبده: الخلفية الأيديولوجية، ص ٤٨ - ٤٩.

(٢) تعرضت الكنائس في الأراضى المقدسة لبعض العوامل التي أدت إلى تخريبها في ظل السيادة الإسلامية عليها. ومنها ما حدث على يد الخليفة الفاطمي الحاكم بأمر الله والذي أعاد عمارتها، وكذلك بعض الزلازل. ويعترف الرحالة الروس دنيال الراهب بما كانت عليه كنيسة القيامة من حالة رابعة عندما زارها عام ١١٠٦ - ١١٠٧م. أما معاناة الحجاج فإن إعتادهم التي زلزلت عن الآلاف أدت إلى صعوبة توفير الميزن والإمدادات. وبما يملق بالضرائب فقد فرصت ببرنامجها نفسها ضرائب عليهم أثناء مرورهم بأراضيها وفي الضريح المقدس أيضاً مما أدى إلى شكوى البهاوية من ذلك. وللمزيد: رحلة الحاج الروسي دنيال الراهب في الديار المقدسة ترجمة د. محمد البدياري، ودارد اسماعيل، عمان ١٩٩٢، ص ٥٢ - ٥٣، قاسم عبده: الخلفية الأيديولوجية، ص ٣١ وما بعدها. Runciman, The Pilgrimage, p. 68 ff.

على الأراضى المقدسة، كما أشار إلى ما أسماه معجزة النار المقدسة عند الصريح المقدس وحول الكنيسة^(١).

عاشراً: انفرد روبرت الراهب بالحديث عن ربط البابا أربان بين الحالة السيئة التي كانت تعربها أوروبا وعدم كفاية الطعام والثروة لأهلها، وأن الحروب بينهم هي التي أدت إلى ذلك، وبالتالي فقد دعاهم إلى الذهاب إلى تلك البلاد التي تفيض لبنا وعسلاً. أما بلدريك فقد أشار إلى منحهم أملاك العدو^(٢). ومن ثم فإن البابا أدرك ضرورة العود المادية لتحريك همم من يرغب في ذلك من الفئات العديدة التي ستخرج للمشاركة في الحملة.

على أي حال فقد تركت خطب البابا - وخاصة الثالثة التي وجهها إلى تلك الجموع التي احتشدت في أوفريزي - أثرها الهائل عليهم. ويذكر بطرس تيدبوده أن الحاضرين رددوا لقد ألتقينا في إرادة واحدة، أما روبرت الراهب فيشير إلى أنهم قاطعوا البابا أثناء خطبته وصاحوا بأنها مشيئة الرب، Deus lo vott^(٤). وأصبح ذلك شعار المشاركين في الحملة، وصيحتهم عند الحرب ضد المسلمين. ومن ناحية أخرى سارع البابا لتنظيم أمر الحملة وذلك بغية المحافظة على مشروعه وحتى لا يفلت الأمر من بين يديه وسط حماسة تلك

(١) أنهم جيبرت للمسلمين بحم الإمان بهذه المعجزة، ويعترف فولشر نفسه بحم حدثها عام ١١٠١م. وكان الصليبيون يصيحون عند رؤيتها kyrie eleison، «يا رب، ارحمنا».

رحلة العاج نانيال، الملحق الخامس، ص ١٦٥ - ١٦٧

Fulcher off Charters, op. cit., pp. 151 - 52.

The Speech of Urban: The Version of Robert of Rheims, (٢) (Peters.), pp. 26 - 29; cf. also: Runciman, The Councils, pp. 244 - 45.

وكذلك: قاسم عبده: الأندولوجية، ص ٩٢ - ٩٧ زابروف: الصليبيون، ص ١٥ - ١٦.

Tudebodus, op. cit., pp. 15 - 16. (٣)

The Speech of Urban: The Version of Robert of Rheims, (Pe- (٤) ters.), p. 28. cf. also: Runciman, the councils, p. 239.

الجموع المدفوعة للخروج، وأمر البابا المشاركين بخياطة الصليب على ملابسهم حيث أصبح شعاراً لهم. واختلقت المصادر في وصفها لهذا الأمر فيذكر المؤرخ المجهول وتيدبوده أن المشاركين قاموا بخياطة هذه الصلبان على ملابسهم عند اكتفاهم اليملى^(١)، بينما يشير فولشر أن البابا أمر بوضع الصلبان على أكتاف المعاطف بمجرد القسم على المشاركة^(٢)، ولكن جيبيرت أورد عبارة عامة فيقول أن البابا أمر بوضع الصليب على أي نوع من فعاش القمصان أو العبايات^(٣)، وخلافاً لبقية المصادر الأخرى يذكر روبرت الراهب بأن وضع علامة الصليب كانت تتم على غطاء الرأس أو الصدر عندما ينذر الشخص الخروج للعملة، وفي طريق عودته يضع علامة الصليب على ظهره ملابسهم بين كتفيه^(٤).

ومن بين الأمور الهامة التي أكد عليها أريان عدم التقاعس عن الخروج لمن نذر ذلك وأقسم عليه وذلك لأي سبب من الأسباب. كما نظم أمر خروج رجال الدين ودورهم في العملة. وعلى الرغم من أن روبرت الراهب أشار إلى ذلك ضمن خطبة البابا، إلا أنه من المرجح أن ذلك كان ضمن ما سارع به أريان عقب استجابة جموع العامة لدعوته دون انتظار للمرعد الذي حدده

The Speech of Urban: The Gesta version, (Peters.), pp. 25 - 26; (١)
Tdebodus, op. cit., p. 16.

Fulcher of Chartres, op. cit., p. 68. (٢)

وصف فولشر الصليب بأنه مصنوع من الحرير والقماش المنصب ومواد أخرى. وربما يدل هذا على وجوده في كليرمون.

Speech of Urban, The Version of Guibert of Nogent, (Peters), (٣)
pp. 37.

وكذلك: قاسم عبده: نصروس رونالتي، ص ٨٨ - ٨٩.

Speech of Urban, The Version of Guibert of Nogent, (Peters), (٤)
pp. 28 - 29.

وكذلك: قاسم عبده: نصروس رونالتي، ص ٧٩ - ٨٠.

لخروج الصليبية^(١).

أما فيما يتعلق بتنظيم أمور الحملة النظامية، فقد بدأ البابا الإعداد لذلك سواء ما يتعلق بالقيادة والتمويل وخط السير وغير ذلك من الجوانب التنظيمية. وعهد بقيادة الحملة إلى ادھيمار لي بوي الذي صاحب البابا عندما كان في بوي واتجه إلى كليرمون. ويذكر بلديريك أن ادھيمار كان من بين الحاضرين وطلب من البابا مباركته قبل خروجه، وقام أربان بمنحه السلطة على الجميع كنائب بابوي في قيادة الحملة^(٢). ويتضح هنا سياسة البابا في إضفاء الطابع الديني على الحملة عندما عهد بقيادتها إلى رجل دين^(٣). وفي رسالة البابا إلى المؤمنين في الفلاندرز والسورخة في ديسمبر ١٠٩٥ م أشار إلى اختياره لادھيمار قائداً للحملة وأمر المشاركين بطاعته أثناء قيادته لهم، كما حدد يوم عيد صعود القديسة مريم Assumption of the Blessed Mary (والذي يوافق ١٥ أغسطس) موعداً لخروج الحملة^(٤).

تركت خطب أربان الثالث السابقة، وخاصة الخطبة الأخيرة أثراً مدوية على جموع الحاضرين. فقد سارعت فئات عديدة للخروج دون انتظار للموعد الذي حدده البابا في خريف العام التالي. وقبل أن تتابع نشاط البابا في غالة تتوقف عند مسألة على جانب كبير من الأهمية اختلفت آراء

(١) تجدر الإشارة أن وضع الصليب صار أمراً مفروضاً على كل من ينذر الخروج للمشاركة في الحملة كما ذكر مانسوس رئيس أساقفة ماينز عام ١٠٩٦ م انظر:

Runciman, The Councils, p. 247.

(٢) أجمعت المصادر على وصف ادھيمار بالشجاعة والنبالة، وكانت له قرابة الغاصة وأشارت المراجع إلى أنه كان قائداً للحملة (dux) رندوباً بابوياً Legate واستخدمت بعض المصادر العربية الاسم الأجنبي محرفاً فأطلقت عليه الكفاف والتوكان وصحته الكفات انظر: ابن أصل: مفرج الكروب في أخبار بني أرب، تحقيق د. حسين محمد ربيع، ومراجعة د. محمد عاشور، ج٤، القاهرة ١٩٧٢، ص ٩٨، هـ (٢).

Runciman, The Councils, pp. 249-50.

Runciman, The Councils, p. 249.

(٣)

Peters (ed.), op. cit., p. 42.

(٤)

المؤرخين الحديثين بشأنها. ونقصد بذلك هل كان البابا يهدف إلى تحرير الكنيسة الشرقية أم التوجه إلى بيت المقدس؟ ويؤيد كل من ماير Mayer وردولف هيبستاد R. Hiestand الرأي الخاص بأن القدس لم ترد ضمن نص فولشر الشارترى، كما أن رسالتين للبابا إلى القلمك في نهاية عام ١٠٩٥ م لم تشيرا إلى القدس إلا هامشياً. ويدعم هيبستاد ذلك بقوله أنه ليس من المؤكد في المصادر أن أريان قد تناول القدس كهدف سياسي وحرى لمشروعه^(١). أما للمؤرخ ريلى سميت فيرى أن هدف أريان كان تخليص الكنائس الشرقية بصفة عامة وكنيسة بيت المقدس بصفة خاصة. ويذكر أنه من الصعب قبول أن هدف أريان تحرير الكنائس الشرقية كهدف أساسي وذلك لأن البابا لا يستطيع تجاهل وضع القدس وتأثيرها^(٢).

واعتمد هؤلاء المؤرخون الحديثون على نصوص المؤرخين الأربعة لخطب البابا أريان، وعلى الرغم من أن فولشر لم يذكر القدس صراحة إلا أنه أشار إليها ضمناً، بينما أفاضت المصادر الثلاثة الأخرى في الحديث عنها ومعانيها والأماكن المقدسة بها، كما تحدثت عن الدفاع عن الكنيسة الشرقية أيضاً^(٣). ومن جانب آخر استند هؤلاء على مجموعة من الوثائق تعللت في خطابات من البابا، وبعض قرارات مجمع كليرمون^(٤). ومن بين الإشارات

(١) ماير: للمرجع السابق، ص ٢٥ - ٢٧

Hiestand, op. cit., p. 32.

وتجدر الإشارة إلى أن ماير لورد لواء مؤرخين آخرين مثل إردمان Erdmann وكودري Kowdery بشأن هدف أريان فيما يتعلق بالقدس. وتوجد دراسة نقدية لأبحاث إردمان انظر:

John Gilchrist, The Erdmann Thesis and the canon law, 1083 - 1141, in crusade and Settlement, pp. 37 - 45.

(٢) الحملة الصليبية الأولى، ص ٢٢ - ٢٨.

(٣) انظر ما سبق عن تحليل نصوص خطب البابا.

(٤) نشر Peters هذه النصوص، وتوجد ترجمة قيمة لبعضها منها في كتاب د. قام عبده:

الحروب الصليبية (نصوص ووثائق)، ص ٨٩ - ٩٨

Peters (ed.), op. cit., pp. 37 - 46.

التي وردت عن القدس ضمن هذه الوثائق ما ذكره البابا في خطابه إلى المخلصين في الفلاندرز (ديسمبر ١٠٩٥) عن خضوع القدس لعبودية لا تحتمل، وكذلك الكنائس الشرقية مما دفعه لزيارة غالة^(١). أما أحدث المصادر الوثائقية التي تم اكتشافها وقدمت معلومات جديدة عن رحلة البابا في دير القدس فنورنت أوف سامور^(٢) حيث أمضى حوالي أسبوع في أواخر يناير وحتى أوائل فبراير ١٠٩٥ م. وذكرت الوثيقة بأن البابا وعظ السكان المحليين للقيام بالرحلة إلى بيت المقدس عن طريق القسطنطينية ولإعادة بناء الأماكن المقدسة التي خربها الوثنيين. وتلفت الوثيقة الانتباه إلى أمر هام وهو الطريقة التي أتبعها البابا في دعوته فقد ألقى ما أسمته الوثيقة بـ *Publice* وهي العظات العامة في الكنائس المحلية، أما العظة الخاصة *Privatim* فهي الطريقة التي أتبعها مع الأفراد وخاصة النبلاء لكي يدعموا حملته^(٣). وفي مقال لسيثيا شين ناقشت فيه أهمية بيت المقدس كهدف للحملة الأولى أثبتت اهتمام الغربيين بالقدس سواء للحج أو للتكفير عن الذنوب، ثم أوردت أنشودة ترجع إلى القرن الحادي عشر عن الصريح المقدس، وكان الصليبيون يرددونها أثناء الحملة. ثم أشارت إلى وثيقة تعود إلى مارس ١٠٩٦ - حيث كان البابا يقوم بالدعوة للحملة في أحد أديرة بواتييه - إلى أن البابا كان تحت أمرته العديد من الرجال من النبلاء من جميع البلاد سيرحلون إلى الصريح المقدس^(٤). وفي أثناء وجود البابا في

(١) Urban's Letter to the Faithful in Flanders, p. 42.

(٢) يقع على بعد ٤٥ كم جنوب شرق أنجز Angers في غالة.

(٣) George T. Beech, Urban II, The Abbey of Saint-Florent of Saumur, and the first crusade, in: *Autour de la Première croisade*, pp. 57 - 58, 61 - 62.

(٤) نقول للكلمات: باسم الرب نسبح في طريقنا، ونرحل على بركته، قدرة الرب والصريح المقدس تصاعدنا.

Sylvia Schein, Jérusalem: objectif originel de la première croisade, pp. 121 - 23.

أنجرو ولنت (١٠ - ١٤ فبراير ١٠٩٦م) تذكر حولية فولك أوف لى رشين أن البابا أثناء زيارته لانجرز Angers حث شعبنا على الذهاب إلى بيت المقدس لمطاردة الوثنيين الذين احتلوا وجميع الأراضي المسيحية حتى القسطنطينية^(١). وفي خطابه إلى أعوانه في بولونيا المؤرخ في سبتمبر ١٠٩٦، يشير أيضاً إلى القدس وسعادة البابا لسماعه برغبة البعض الذهاب إليها ثم يتناول المزايا التي سيحصلون عليها^(٢). وفي أكتوبر ١٠٩٦ - أي بعد رحيل الحملة - تستمر الإشارة إلى القدس وذلك في خطاب البابا إلى رهبان جماعة فالومبروسا^(٣).

وعلى الرغم من أن المؤرخ ماير يذكر أن القدس لم تعد تذكر بعد وصول الحملة إلى أنطاكية في ماير ١٠٩٨م، إلا أنه يوجد خطاب مؤرخ في سبتمبر ١٠٩٨م يذكر القدس حيث يدعون البابا للحاق بهم لكي يقودهم إلى تحرير الصريح المقدس^(٤). ومن ناحية أخرى تجاهلت هذه المراجع الحديثة العديد من الإشارات التي وردت عن الحملة الشعبية سواء تلك التي خرجت بقيادة بطرس الناسك وبداية رحلته إلى القدس، أو القسم الذي كان بقيادة أميكو وأن طريقه كان إلى القدس. وتلك الأسطورة التي ذكرت أن هذا القسم كانت تقوده أرزة وعنزة ملهتان تعرفان طريقهما إلى بيت المقدس^(٥)!!

ولم يقتصر الأمر على هذه المصادر اللاتينية فحسب، بل أن نجد مؤرخاً مثل ابن الأثير يربط ما بين فكرة الحروب الصليبية وبين الحرب التي جرت

Urban in Anjou, Lent, 1096: The Chronicle of Fulk le Réchin, (١) (Peters.), pp. 42 - 44.

Urban's letter to His Supportres in Bologna (Peters), p. 44. (٢)

Urban's Letter to the Monks of Vallombrosa, (Peters.), p. 44. (٣)

(٤) ماير: المرجع السابق، ص ٢٧، وعن الخطاب أعلاه:

Kreuzzugsbriefe aus den Jahren 1088 - 1100 ed. H. Hagenmayer, (Innsbruck, 1901) no. 12, p. 154 (in: S. Schein, op. cit., p. 123).

(٥) انظر نصوص تلك الحملة لدى: قاسم عبده: نصوص ووثائق، ص ٩٧ - ١٢١، زابروف: المرجع السابق، ص ٥٥ - ٥٦.

ضد المسلمين في أسبانيا. ويذكر ابن الأثير بأن صاحب فكرة التوجه إلى بيت المقدس هو روجر ملك صقلية الذي خشي على أملاكه من الغربيين فلصحهم بفتح بيت المقدس وتخلصونه من أيديهم (يقصد المسلمين) ويكون لكم الفخر^(١). وسواء أكان لروجر دور في ذلك أم لا، إلا أن رواية ابن الأثير تؤكد إلى جانب الروايات السابقة على أن استيلاء الصليبيين على بيت المقدس كان هدفاً لتلك الحملة الصليبية الأولى. ومن جانب آخر فإن البابا أريان بدء الفكرة بانقاذ بيزنطة من هجمات الأتراك السلاجقة وهو ما طرحه في بيتشانزا في مارس ١٠٩٥ م. ثم عندما انتقل إلى غالة وجد أن بيت المقدس أكثر اتقاعاً كي تكون هدفاً لحملة وخاصة بين فئات العامة فواصل دعايته مستغلاً شغفهم وحبهم لهذه المدينة في نجاح دعوته.

مما لا شك فيه أن تلك الفترة الهامة التي أعقبت انتهاء مجمع كليرمون وحتى تحرك الحملة الصليبية الأولى والتي أمضاها البابا أريان في غالة حيث ظل يرتحل من مكان إلى آخر تركت أثرها المباشر على الإعداد لتلك الحملة الصليبية الأولى. وأمنتنا مانتها المصدرية بالكثير من المعلومات الهامة عن خطب البابا أريان وفسرت العديد من جوانب هذا المشروع الذي يعد مشروعاً بابوياً خالصاً وقع على كاهل أريان تنفيذه وتحمل تبعاته.

عبر البابا جهال الألب مرة أخرى عائداً إلى إيطاليا وفي لوكا Lucca توقفت الجيوش المشاركة في الحملة للحصول على مباركة البابا ومنهم من اتجه عبر العوائق الواقعة على الأدرياتى، بينما سلكت الغالبية الطريق البرى عبر بيزنطة. ويقول رانسيومان بأن ملظر تلك الجيوش وهي في طريقها لإنقاذ الصريح المقدس يؤكد على أن خطة البابا المعدة بعناية تؤكد على أنها في

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ١٠ أجزاء، بيروت ١٩٨٧، ج ١٩، ص ١٣. وأرى ذلك ضمن حوادث عام ٤٨٤ هـ (١٠٩١ م). وهذه قضية بحاجة للمناقشة على اعتبار أنها إشارة هامة قبل إعلان أريان لفكرته في كليرمون بحوالى أربع سنوات قبل وصلت إليه وأسررها في السنة ١٩

طريقها الصحيح^(١). وبعد رحلة من المعاناة استمرت حوالي ثلاث سنوات استطاعت تلك القوات الصليبية الإستيلاء على بيت المقدس بعد مذابح مروعة داخل تلك المدينة المقدسة وذلك في ١٥ يوليو ١٠٩٩ م. ولم يهدأ البابا بهذا الانتصار طويلاً فقد مات في ٢٩ يوليو ١٠٩٩ م لكي يخلف وراءه تركة مثقلة بالعناء استمرت ما يقرب من مائتي عام.

Runciman, The Councils, pp. 250 - 51.

(١)

الخاتمة:

من خلال العرض السابق لخطب البابا أربان الثالث ودراسة مختلف نصوصها التي وردت لدى المصادر الخمسة الرئيسية، والمقارنة التي تمت بينها يتضح للباحث أهمية الاعتماد على نص خطبة المؤرخ فولشر الشارترى باعتباره أقرب من سجل نصوصها من ناحية، وكذلك لاكتمال أغلب أجزاء الخطب الثلاث لديه. وهذا ما أشار إليه المؤرخ مونرو منذ ١٩٠٦م، لم أخذ بهذا الرأي المؤرخ ريلي سميث، وكلاهما يعد من أبرز المتخصصين في دراسة الحروب الصليبية. ومن ناحية أخرى اختلف الباحث مع ما أورده مونرو من حيث نص كل خطبة لدى فولشر وأثبت أن الخطبة الأولى في الفصل الأول، والثانية في الفصل الثاني والثالثة في الفصل الثالث وذلك في الكراسة الأولى التي تركها فولشر ضمن كتابه.

كما تناول الباحث قضية هامة أخرى تتعلق بأراء المؤرخين الحديثين عن درافع البابا أربان الثاني من خلال خطبه وهل كان يهدف إلى تحرير الكنيسة الشرقية أو كنيسة بيت المقدس. وفي ضوء دراسة الوثائق المنشورة، وتلك التي تم نشرها حديثاً، بالإضافة إلى مجموعة أخرى من الخطابات المعاصرة وكذلك المصادر التاريخية اللاتينية، بل أيضاً نص هام للمؤرخ ابن الأثير - وهو ما أشار إليه أيضاً الدكتور سعيد عاشور - استفاد الباحث من هذه الوثائق جميعاً في تبني وجهة النظر الخاصة بأن هدف أربان الثاني كان هو تحرير بيت المقدس - على حد زعمه - أما ما يتعلق بتحرير الكنيسة الشرقية فقد كان ذلك ضمن خطابه في مجمع بيتشانزا في مارس ١٠٩٥م، ثم كرر ذلك في خطبته الافتتاحية في كليرمون في الثامن عشر من نوفمبر من نفس العام.

وأخيراً فقد اختتمت البحث بتناول تحركات البابا أربان في غالة حيث

استمرت رحلته ما يقرب من ثمانى أشهر نجح خلالها فى تنظيم أمر دعوته للحملة الصليبية سواء ما يتعلق بالإمداد والتموين وقيادة الحملة وتمويلها ومختلف الجوانب التى أسهمت فى نجاحها. واعتمد الباحث فى ذلك على أحدث ما نشر من وثائق تتعلق بهذه الفترة الهامة والتى تفسر كثيراً مما ورد فى خطب البابا أوربان الثانى.

وأخردعونا أن الحمد لله رب العالمين

